والعادة. فإذا حدث شجار (عراك) بين عدة أشخاص في قهوة واستعملت فيها العصا يجوز أن يخطأ الشاهد في تذكر الآلة التي استعملت في الجريمة ويستبدل (لا شعوريًا) العصا بالكراسي لأنه عادة إذا وقع شجار في مثل هذا المكان يستعمل المتشاجرون الكراسي وغيرها من الأدوات التي تكون في متناول أيديهم [1].

* * *

(٣) انظر محمود حسن، المرجع السابق، ص ١٨٧ – ١٨٨، أحمد فؤاد عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٢٧٥.

Scanned by CamScanner

ثالثًا: استحضار (استرجاع) الذاكرة

استحضار الذاكرة هو استدعاء الخبرة الإدراكية التي عاشها الفرد في الماضي إلى الحاضر، أو بمعنى آخر هو تذكر شيء غير ماثل أمام الحواس [١].

يتأثر استرجاع الشهادة بعوامل عديدة أهمها:

١ ـ الترتيب المنطقي للذاكرة.

عندما يشعر الشخص بأن عليه أن يدلي بشهادة حول واقعة معينة كان قد حضرها فإنه يبدأ في ترتيب ذاكرته حول الواقعة ترتيبًا منطقيًّا وذلك حتى يستطيع أن يعبر عنها بطريقة مقبولة فنجده يملء الثغرات التي في ذاكرته من عنده حتى تصبح الذكريات وبالتالي الشهادة منسجمة ومسلسلة بشكل منطقي ومن الواضح أن ذلك يؤدي حتمًا إلى تشويه الشهادة [٢].

٢ ـ بعد الشهادة عن مجال الواقعة أو الذكرى:

كلما كان الشاهد قريبًا من مجال الواقعة كلما كان ذلك عاملاً مساعدًا في استرجاع وتذكر تفاصيلها بشكل أدق مما لو كان بعيد عنها.

٣ ـ الصدمة الانفعالية:

يضطرب النشاط الذهني ويضعف في حالة تعرض الشخص لصدمة انفعالية فعلى المحقق إذا أراد أن يحصل على معلومات جيدة أن يهيئ الجو النفسي الملائم للشاهد حتى

---

(١) انظر سعد المغربي، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٢) انظر F.Ferracuti,op . cit, P.113.

Scanned by CamScanner

يستطيع من أن يسترجع ذاكرته.

٤ ـ قابلية الشاهد للتعبير:

يتأثر استحضار الذاكرة بقابلية الشاهد على التعبير عما في ذاكرته وبالتالي لا يمكن الاعتماد على شهادة المتخلفين أو المرضى عقليًا إذ أنهم يتميزون بعجز واضح في كل العمليات العقلية من انتباه وإدراك وتخيل وتذكر. أن قابليتهم على التعبير ضعيفة أو أحيانًا معدومة كليًا.

٥ ـ الطريقة التي تدل بها الشهادة:

هناك أسلوبان لأداء الشهادة ونعني بهما: الأسلوب التلقائي والأسلوب الاستجوابي.

الأسلوب التلقائي:

هو أن يدع المحقق الشاهد يدلي بما لديه من معلومات دون تدخل أو مقاطعة من قبله أثناء تأدية الشاهد لشهادته.

الأسلوب الاستجوابي:

هو أن يوجه المحقق للشاهد أسئلة متعددة للحصول منه على معلومات معينة لها علاقة بالواقعة.

لقد برهنت التجارب على أن الشهادة التلقائية أفضل من الشهادة الاستجوابية، لأن استجواب المحقق للشاهد يجعل هذا الأخير يجهد ذاكرته بحيث تسير بالاتجاه الذي يختاره المحقق وهكذا فإن الشهادة الاستجوابية تكون عاملاً مساعدًا على تشويه الحقيقة الموضوعية . ومما يزيد ويضاعف هذا التشويه أن الشاهد يعتقد غالبًا أنه مكلف

Scanned by CamScanner

بالإجابة على كل سؤال يوجه لذا نجده يرهق نفسه بالبحث في ذاكرته عن هذه الإجابة فيسلم نفسه لأوهام وإيحاءات لا سند لها في الحقيقة. هذا بعكس الشهادة التلقائية التي يسترجع فيها الشاهد ذاكرته بصورة (تلقائية) غير مغتصبة[١].

وبالرغم مما تقدم فإن الأسلوب الاستجوابي يكاد يكون ضرورة في بعض الأحيان خاصة عندما يكون الشاهد لا يلم بكل التفصيلات عند سرده للواقعة تلقائيًا هذا علاوة على أن المحقق قد يرى أنه من المفيد أن يسأل ويستفسر عن بعض ما ورد في شهادة الشاهد أو مناقشته ببعض ما أفاد به في التحقيق.

إن الرواية الحرة هي الأسلوب الأكثر دقة وأمانة ولكنه الأقل معلومات أما الاستجواب فإنه الأسلوب الذي يزودنا بمعلومات أكثر ولكنه الأقل إخلاصًا للحقيقة.

وعليه فإن الطريقة المثلى للحصول على شهادة موضوعية هي أن يترك الشاهد في بداية الأمر لأن يدلي بكل ما يملك عن الواقعة بحرية تامة (الأسلوب التلقائي) على أن تكمل الشهادة بعدئذ بواسطة أسئلة مباشرة (الأسلوب الاستجوابي) وهكذا يستخدم الأسلوبان بحيث يكمل أحدهما الآخر [٢].

شهادة الأطفال:

إن أغلب القوانين النفسية التي تحكم وتنظم الشهادة بالنسبة للكبار تفقد إلى حد كبير قيمتها ومعناها عندما يكون الشاهد صغير [٣]

---

(١) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) يجب أن لا تطرح مطلقًا أسئلة مباشرة في بداية الشهادة. ويلاحظ أنه عندما يطلب من الشاهد أن يكرر شهادته فإنه يميل أن يكرر نفس شهادته الأولى ومبتعدًا عن الواقعة موضوع الشهادة.

(٣) انظر F. Ferracuti , op. cit. P. 114.

Scanned by CamScanner

وذلك للأسباب الآتية:

١ ـ يتمتع الطفل بقابلية محدودة للملاحظة والإدراك والذاكرة والتعبير.

٢ ـ يخلط الطفل في أحيان كثيرة بين دلالات الحواس المختلفة [١].

٣ ـ يعوز الطفل الوعي بأهمية الشهادة وما يترتب عليها من نتائج ولذلك لا نجده يقوم باتخاذ الحذر المطلوب عند أداء الشهادة.

٤ ـ تختلف شهادة الطفل باختلاف شخصية من يقوم باستجوابه.

٥ ـ يتمتع الطفل بقابلية واسعة للخيال، فليس لديه حد دقيق وفاصل بين الحقيقة والأخيلة بل يجد سهولة في الانتقال بين الحقيقة والخيال إلى درجة فقدان الحدود بينهما، وخاصة إذا تعلقت الشهادة بموضوعات خطيرة وذات جاذبية تستهوي فضوله وخياله مثل المسائل المتعلقة بالقتل أو الأمور الجنسية إذ أنها تستنفر خياله.

فإذا طلب منه أن يتذكر شيئًا من هذه الموضوعات ووجد نفسه لا يستطيع أن يتذكره فإننا نجده غالبًا ما يملأ هذه الفجوة في ذاكرته بالخيال، ولا يخفى مدى النتائج الخطرة وغير المتوقعة التي تترتب على ذلك.

٦ ـ يتعرض الطفل للإيحاء بشكل كبير؛ لأنه مخلوق ضعيف جسميًا وعقليًا وهذا ما يجعله غير ناضج من الناحية الانفعالية والاجتماعية فإذا وقع الطفل تحت تأثير إيحاء الكبار وخاصة إذا كانت مواقف الإيحاء تنطوي على التهديد والتخويف فإنه يتأثر بكل ما يوحى إليه [٢].

---

(١) قد يعتقد بأنه قد رأى شيئًا معينًا بينما يكون في الحقيقة قد سمع أو قرأ عنه فقط، انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٣٤ ، سعد المغربي، المرجع السابق، ص٨٩.

(٢) أجرى أحد العلماء تجربة على بعض الأطفال وعددهم ثمان وأربعون بأن وضع بينهم قطعة نقود ذهبية=

Scanned by CamScanner

وإذا أراد المحقق أن يحصل من الطفل على شهادة أقرب إلى الحقيقة، علية أن يهيئ الظروف الملائمة ويكون ذلك بالحرص على تهيئة جو بسيط خال من التعقيد جهد الإمكان. وقبل أن يدخل المحقق في صلب موضوع الشهادة عليه أن يمهد لذلك عن طريق إشاعة جو الطمأنينة والثقة بالنفس.

فيبدأ بسؤاله مثلاً عن أمور خاصة به كمدرسته وألعابه وأصدقائه ثم يتطرق بعدئذ إلى موضوع الشهادة في لباقة ومهارة، إن هذا الأسلوب يدفع الطفل غالبًا لأن يتعاون مع المحقق ويدلي بأحسن ما عنده من المعلومات، ومع هذا فإن اتهامًا لا يؤيده سوى أقوال الطفل يجب أن يكون موضع شك كبير.

شهادة المسنين:

إن القول بأن «الشيخوخة طفولة ثانية» ينطوي على جانب كبير من الصحة فقد ثبت علميًا انه كلما تقدم الإنسان في العمر كلما تعرض لحالة من الضعف والتدهور التدريجي بحيث لا يشمل جسمه فقط بل حواسه وقواه العقلية أيضًا، أن الحواس باعتبارها الأداة الرئيسية في إدراك العالم نجدها تضعف عند المسنين بشكل ملحوظ وخاصة حاستي البصر والسمع وبالتالي نجده لا يدرك المرئيات والسمعيات على حقيقتها، وهذا من شأنه أن يقود إلى الخطأ في الشهادة.

أما قدرة المسن على الانتباه فهي ضعيفة أيضًا؛ لأنه يعيش في ماضيه مجترا ذكرياته

=وطلب منهم ملاحظتها، ثم رفعها وسألهم «إنكم لاحظتم جميعًا بلا شك الثقب الموجود بقطعة النقود فأيكم يستطيع أن يحدد لي مكان هذا الثقب؟» والواقع أنه لم يكن هناك ثقب، ومع ذلك فإن واحدًا منهم فقط قد صرح بأنه ليس هناك ثقب، واثنين ترددوا وأما الباقون فقد حدد كل منهم الثقب كما خيل إليه بل إن منهم من حدد مكاني ثقبين، انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص٣٢.

Scanned by CamScanner

البعيدة التي يحقق في أحداثها ذاته وشخصه وكيانه وهذا بالطبع يمنعه من أن يركز انتباهه في موضوع معين لفترة مناسبة ومعلوم بأن الانتباه من أهم عناصر اكتساب العالم الخارجي، إذ بدونه لا يمكن التعرف على الوقائع بصورة صحيحة.

أما فيما يتعلق بالذاكرة فإنها هي الأخرى تتأثر بالشيخوخة تأثرًا كبيرًا إن الذكريات بالنسبة للمسن تنسى بترتيب عكسي بالنسبة لظهورها. أي أن المسن ينسى ما مر به بالأمس من الوقائع الحديثة بينما يتذكر جيدًا الحوادث البعيدة جدًّا، إنه يعيش في ذكرياته الماضية، ولما كانت الشهادة تنصب على وقائع وقعت حديثًا فإن النسيان يبدو فيها واضحًا بالنسبة لهذا النوع من الشهود.

ونتيجة لهذا الضعف والوهن والتدهور في الكفاية العقلية لدى الشيوخ المسنين فإنهم يكونون مهيئين للإيحاء بأفكار الغير وأفكارهم الخاصة واتجاهاتهم القديمة وينتج عن ذلك كله بأن شهاداتهم تكون على قدر غير كاف من الدقة والشمول [1].

القواعد العامة التي يجب أن تتبع في أخذ الشهادة:

بعد أن درسنا الشهادة من جوانبها المختلفة نستطيع الآن أن نبين بعض القواعد العامة التي يجب مراعاتها للحصول ما أمكن على شهادة صحيحة من قبل الشاهد العادي [2]

. وهذه القواعد هي:

١ ـ يجب أن تدلى الشهادة في مكان هادئ يساعد على التركيز والانتباه.

---

(١) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٣٥ ـ ٣٦، سعد المغربي المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) في القواعد العامة التي يجب أن تتبع في أخذ الشهادة انظر سعد المغربي المرجع السابق، ص ١٠٠، ١٠١، انظر كذلك F.Ferracuti, op. cit. PP.199 - 120

Scanned by CamScanner

٢ ـ يجب التأكد من خلـــو الشاهد من الأمراض العقلية وإصابات الرأس والمخدرات والتعب الشديد.

٣ ـ الانفعالات والحالات الوجدانية (خوف، زهو) صفات خاصة بالشهود من شأنها أن تغير الحقيقة ، ولذلك فإن الشهادة يجب أن تبتعد عن جو الرهبة والخوف وكل ما من شأنه إثارة الانفعالات في نفس الشاهد كما يجب على المحقق أن يكون صبورًا مسيطرًا على أعصابه، وأن يكون مستمعًا جيدًا مهما كان الشاهد مملاً ومغرقًا في سرد أحداث وتفاصيل لا علاقة لها بالواقعة.

فقد يكون في هذه التفاصيل أو بعضها ما يثير بعض الجوانب الخافية في القضية كما أن المحقق بلباقته وحسن استماعه يستطيع تحويل الحديث ورده إلى موضوع القضية، والقصد من كل ذلك هو توفير الجو النفسي الملائم الذي يساعد على الانتباه والتركيز والتذكر السليم.

٤ ـ يجب أن تتم الشهادة من حيث الأساس بالأسلوب التلقائي أو على الأقل القسم الرئيسي فيها فالشاهد يجب أن يترك لأن يدلي بما عنده من معلومات دون أسئلة أو مقاطعة ودون أن يظهر من المحقق أي تعبيرات حركية أو صوتية تدل على الرفض أو الاستنكار أو التأييد من شأنها توحي للشاهد أو تؤثر عليه.

على المحقق أن يستمر على هذا السلوك أن ينتهي الشاهد من كل ما عنده من المعلومات، وإذا استجوب الشاهد قبل أن يسمع وجب تقييم أثر المستجوب أو المستجوبين والتأثيرات السابقة على الشاهد.

٥ ـ إذا أريد استجواب الشاهد، فإن هذا الاستجواب يجب أن يتم بعد أن يؤدي

Scanned by CamScanner

شهادته بالأسلوب التلقائي. ويجب على المحقق عند الاستجواب أن يمتنع عن طرح الأسئلة التفصيلية لأنها تؤدي إلى تغيير الحقيقة. كما أن الأسئلة يجب أن تكون صريحة وتتضمن الإجابة عن فكرة أو شيء واحد.

ويلتجأ إلى الاستجواب في الشهادة عندما يرى المحقق أنه من الضروري الحصول على بعض التفصيلات والمعلومات التي أغفلها الشاهد عند إدلائه بشهادته.

٦- من المستحسن أن تتم الشهادة في مكان الحادثة ذلك لأن ظهور بعض الأشياء يستدعي في الذهن بعض الأشياء الأخرى لما بينها من علاقات وترابط سبق أن أدركها الفرد.

٧- يجب الابتعاد قدر الإمكان عن الأسئلة التي تدعو للإيحاء وسواء كان الإيحاء مقصودًا من المحقق أم غير مقصود وسواء كان عن طريق الأسئلة أو عن طريق الجو المحيط بالشهادة، وكذلك أن يكون أداء الشهود لشهاداتهم منفردة منعًا لتدخل عامل الإيحاء والتأثير بمعلومات الغير.

٨ - كلما ابتعد أداء الشهادة عن وقت إدراكها كلما ابتعدت عن الحقيقة، وذلك نتيجة للنشاط العقلي وتداخل المعلومات بعد مضي فترة على إدراكها . وعليه يجب عدم مرور وقت طويل بين أداء الشهادة وإدراكها.

٩ - يجب أن تقيم شهادات المتخلفين عقليًا و نفسيًا وجسميًا على انفراد.

١٠ - يجب جمع المعلومات عن الشاهد من حيث خلقه وسلوكه واتجاهاته وعلاقاته بموضوع القضية وغير ذلك من المعلومات التي قد تلقى كثيرًا من الضوء على قيمة الشهادة التي يؤديها.

Scanned by CamScanner

١١ـ يجب أن تسجل جميع أجزاء الشهادة في المحضر بكل دقة وأمانة، مع فصل الشهادة التلقائية عن الشهادة الاستجوابية.

وفي ختام بحثنا عن موضوع الشهادة يجب أن يتذكر دائمًا بأن الشاهد في جميع الحالات لا يدلي بالحقيقة الموضوعية ، وإنما يدلي فقط بتلك الحقيقة الشخصية الذاتية، بمعنى أنه يدلي فقط بتلك الوقائع كما رآها هو وتذكرها ومدى قابليته للتعبير عنها.

* * *

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner